المبحث الثالث : المؤسسات الثقافية :

1-المساجد والزوايا :

أ- المساجد :

من المعلوم ان المسلمين في كل زمان ومكان كانوا يتخذون من المساجد والأماكن الملاصقة له مراكز لتعليم صبيانهم ، القراءة والكتابة ولم تكن البلاد السودانية استثناء عن ذلك ، وقد لاحظ الرحالة هذا وأكدوا أن الجزائريون استخدموا المساجد أماكن للتعليم [1].

لعب المسجد دورا هاما في حياة المسلمين عامة والتعليم خاصة ، فقد كان المسجد عبر قرون مدرسة وبيت الجماعة ودار الضيافة [2].

اهتم التجار والدعاة والأمراء في حواضر الجزائر لأمر بناء المساجد كوسيلة لتوطيد الاسلام في الاقاليم الجديدة ، ونجد الكثير من الرحالة والمؤرخين الذين ناولوا ،بناءه ورواده وأهميته ودوره .

بدأ أهل الجزائر يهتمون بالتعليم منذ ان اخذ الاسلام يشق طريقه إليهم وازداد مع هذا الانتشار والتوسع بناء المساجد في الحواضر الاسلامية ، حتى أضحى المسجد جزء من الظاهرة العمرانية للحواضر الجزائرية .

كان لكل حاضرة مسجدها الكبير الذي يجمع فيه السكان وقد نظمت المدن الاسلامية من حيث تخطيطها لتلاؤم حياة الطوائف الاجتماعية ، وفقا للأغراض الاقتصادية ،من ذلك بناء الحوانيت التي تبيع الكتب والعطور ، ثم تستدير الأبنية الأخرى حول المسجد لقوم فيها أعمال التجارة والصناعة [3]،

---

[1] . عز الدين عمرو موسى :المرجع السابق، ص119.

[2] . الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ، تلخيص وترتيب سامي الصقار ، ط1،دار المريخ ،الرياض 1401-1981ص 69

[3] . نعيم قداح : حضارة الاسلام وحضارة أوروبا ص 145

وتكون القبائل المهاجرة الى حواضر الغرب الاسلامية من العرب والبربر[4]، قد ساهموا بالقسط الوافر في إدخال صورة جديدة للمساجد في سرعة انجازها وإعطائها الصورة المفضلة لها .

إن تقدم الاسلام في فترة التاريخ الحديث والمعاصر قد دعا الولاة والحكام الى بناء عدد كبير من المساجد لإستعاب العدد الهائل من المصلين والمتعلمين وتنافس التجار والحكام والخيرين على بناءها وكان هؤلاء يتباهون بالإنفاق ، على صيانتها وترميمها ومنهم من كان ينفق الذهب [5].

يعتبر بناء المساجد عمل جماعي يساهم فيه كل سكان المدينة ، حيث يختار الأعيان والعلماء موقع بناء المسجد ن ويشترك الشباب في العمل بنقل مواد البناء ، والنساء يحملن الماء ، ويحضر بعضهم الملاط ويعد هذا عملا خيرا لا يتقاضى عليه العمال أجرا وعادة ما يتبرع الأغنياء والتجار بالمال او المواشي لإعداد الطعام اللازم للعمال ، وأحيانا يصاحبه الاحتفال على الطريقة التقليدية .

عند البناء يراعى ارتفاع المسجد الذي يتراوح بين 3.5الى 5متروطوله الذي يصل الى عشرات الأمتار وذلك حسب عدد السكان ، وعدد الأبواب ودرجة الإنفاق عليه [6].

إن مساحة المسجد ومئذنته والمساحات المحيطة به تختلف من حاضرة الى اخرى ، فغالبا ما يكون في كل حضارة مسجد جامع يتمتع بمساحة كبيرة ومئذنة يتراوح علوها بين المتر الى الثلاثة أمتار وفناء واسع به أشجار [7].

أما في القرى ، فتنتشر المصليات ذات الأشكال المربعة الشكل الخارجي مسقوفة بالأغصان والقش أمامها مساحة كبيرة للصلاة في الهواء الطلق [8]، وقد وصف المساجد معظم الرحالة ومنهم هنري بارث في

---

[4]. عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق، ص 21.

[5]. محمود كعت : المصدر السابق، ص 122.

[6]. نعيم قداح : المرجع السابق ،ص 148.

[7]. نفس المرجع، ص150.

[8]. Barth:op .cit ، p151 .

القرن 19 م ، ووصف طول وعرض ومساحة المساجد [9] ، وروي أن بعض المساجد كانت تأخذ هندستها من مساجد المشرق وخاصة من مكة [10].

ولقد كانت المساجد تضيق بالمصلين[11] ،فكانت المساجد الكبرى بمثابة جامعات [6] ومعاهد تعليمية كبرى ، ومراكز ثقافية وتربوية حققت الأهداف المنوطة بها ، فتتلمذ فيها القضاة والأئمة والفقهاء والعلماء ، ولم تكن أوضاع المساجد والتعليم هذه لتختلف عن سائر مدن الجزائر ، عن حال تلمسان مثلا ، فكل حاضرة لها دورها الثقافي والعلمي الذي ساهم في تنشيط الحياة العلمية .

كان للمسجد حرمة لدى السكان، بلغت درجة الاحترام والتقديس حيث كان من كان يستجير بالمسجد أو دار الخطيب لا يناله شر ولو كان من الحاكم [7] ، كما كانت القبور تبنى بجوار المساجد وحوله ، وتلك عادة اهل المغرب فالمغاربة لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم وجوامعهم [8].

ويبدوا أن اغلب هذه المساجد تلمسان وبجابة وقسنطسنة وغيرها لم تبقى آثارها قائمة الى اليوم ، وذلك راجع الى عامل البيئة والمواد التي تشيد بها المساجد فهي مبنية بالطين المجفف والأخشاب والقش ، وهي مواد لها مدة حياة لاتكون في الغالب طويلة على عكس المساجد المبنية في الأقطار الاسلامية الأخرى ، والتي تعد الصخور المعدلة أهم ركائزها .

ب- الزوايا :

إن الزوايا في الجزائر هي التي حفظت لهذه الأمة المسلمة قرآنها ولغتها ودينها وأخلاقها الإسلامية ، إلى جانب ما قامت به من جهاد ودعت إليه وجندت له أتباعها، إذ ما من ثورة أو انتفاضة أو مقاومة أو

---

[9]. Barth .(4) .op .cit .pp.323-325.

[10] .محمود كعت : المصدر السابق ، ص 121

[11] .عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ،ص 120.

[6]. L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème siècle. P02.www. histoire-afrique.org :YATTARA El mouloud

[1]. عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق، ص07.

جهاد إلا وهو مقرون باسم شيخ زاوية أو زوايا . ويشهد التاريخ النزيه أن شيوخ الزوايا وأبناءهم من تلاميذ ومريدين كانوا أسرع من غيرهم مبادرة لجهاد العدو الأسباني والإيطالي والفرنسي [8] .

و تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في تصحيح نظرية وفكرة في ذهن الكثير أن لفظة (زاوية) معناها مزيج من رهبانية ومن فلكلور و شعوذة ودجل وغطرسة وخداع وبركة مغشوشة واحتيال وتخدير للعقول .. ، كل ذلك باسم الدين والبركة والكرامة و رضى الصالحين وهذا النوع من الزوايا هو الذي جلب للزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها.

بل إن الزوايا و خاصة في بداياتها كانت على عكس هذا تماما وعلى نقيض ، ففي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء[9] ، و قد لعبت الرباطات دورا كبيرا في فتح وهران الأول سنة (1119هـ) و الثاني سنة (1205هـ) ، كما كان للزوايا دور ايجابي في التعليم على الخصوص ، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان و تنوير العامة

1 - الزاوية و بناؤها:

اصطلاحا هي عبارة عن مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرآني والديني ومأوى لطلبة داخليين يعيشون في تلك الزاوية بلا مقابل أما بناؤها فيختلف عادة عن بناء المسجد و المدرسة ، فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد و المنماوال ، و هي في الجملة قصيرة الحيطان ، منخفضة القباب و العرصات ، قليلة النوافذ ، و إذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة ، فالزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة ، بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة و العتمة . و قد كانت بعض الزوايا متخصصة في استقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها [1]، فزاوية مولاي حسن بالعاصمة كانت عبارة عن

[2] .يحي بوعزيز : أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، مجلة الثقافة ، عدد63 ، ماي 1981 ، ص12.

[3] . ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.، ص 387.

[1].أشرف محمد صالح السيد : الثقافة في دار السلطان أواخر الحكم التركي ، مجلد الثقافة ، المجلد الرابع ، العدد 07 ، 2013 ، ص 64.

دار سكنى للعزاب ، و كانت زاوية سيدي أبي عتيقة تستقبل الفقراء و المرضى و العجزة ، و كانت زاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء .. إلخ

- الرباطات و الزوايا :

الرباطات تشبه الزوايا من بعض الوجوه فهي مثلها في خدمة الدين و المجتمع [2]، و لكن الرباطات تمتاز بأنها قريبة من مواقع الأعداء و أن تأسيسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد و الدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا .

2 – الزوايا في العهد العثماني و دورها:

من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية و كثرة المباني (الزوايا و نحوها) المخصصة لها ، ففي المدن و الأرياف عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم و يلقنون أتباعهم . فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار و الغرباء و الأتباع و يعلم فيه الطلبة و يصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان ، و يصبح المكان يدعى بين الناس زاوية فلان أو رباط سيدي فلان .

- بعض أشهر الزوايا في تلك الفترة :

في مدينة الجزائر مثلا و بالإضافة إلى زاوية و ضريح عبد الرحمان الثعالبي و زاوية ولي داده ، و زاوية عبد القادر الجيلاني ، هناك قائمة طويلة أخرى نذكر منها زاوية سيدي محمد الشريف و زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري ، و سيدي الجودي ، و سيدي جمعة و سيدي الكتاني ..الخ .

و في مدينة قسنطينة و نواحيها قائمة طويلة أخرى بلغت حسب بعض الإحصاءات ست عشرة زاوية ، فهناك زوايا و خلوات سيدي الكتاني و سيدي المناطقي و غيرها ، كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة

[2]. أبوالقاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص ص 254،255.

زواياها مثل زاوية أولاد ، و كانت هناك زوايا خاصة بالأتراك و الكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة ، و في نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي [1].

و قد اشتهرت أيضا تلمسان و نواحيها بزواياها و أضرحتها و مشاهدها نذكر منها زاوية سيدي الطيب ، و زاوية سيدي بومدين و زاوية محمد السنوسي ، و زاوية أحمد الغماري و ضريح سيدي الحلوي الأندلسي .. ، و تعتبر منطقة زواوة و بجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا ، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية ، نذكر منها زاوية تيزي راشد ، و زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية و زاوية الأزهري بآيت إسماعيل ، و زاوية ابن على الشريف بآقبو و كذلك سيدي منصور بآيت جناد و غيرها .. و هي كلها زويا اشتهرت بنشر التعليم و تخريج أجيال من المتعلمين[2] .

1 – الدور التعليمي و الاجتماعي :

يظهر الدور الايجابي للزوايا خاصة الريفية منها في التعليم على الخصوص . فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان و تنوير العامة ، و قد اشتهرت بعض الزوايا و الخلوات الريفية حتى أصبحت محجة للزوار و الطلبة ، و من ذلك زاوية خنقة سيدي ناجي و خلوة عبد الرحمان الأخضري و ضريح سيد خالد و زاوية محمد بن علي المجاجي (أبهلول) و زاوية القيطنة و زاوية ابن علي الشريف .. الخ [3].

و ظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف ، ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته . فالزاوية القشاشية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد ، و هذه الزاوية تتبع جامع القشاش ، و كذلك زاوية شيخ البلاد في مدينة الجزائر ، و من الزوايا التي لعبت دورا أساسيا في نشر التعليم في غير العاصمة زاوية الفكون في قسنطينة ، و زاوية مازونة ذات الشهرة الواسعة ، و زاوية عين الحوت بتلمسان و زاوية محمد التواتي ببجاية و غيرها كثير .

---

[1]. عمار عمورة : الجزائر بوابة التاريخ ، المرجع السابق ، ص 166 ، 168

[2]. أشرف محمد صالح السيد : الثقافة في دار السلطان أواخر الحكم التركي ، مجلد الثقافة ، المجلد الرابع ، العدد 07 ، 2013 ، ص 66.

[3].الموسوعة الحرة https://www.wikipedia.org

2 – الدور الجهادي و الثوري :

كان للتهديدات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغربية، وضعف سلطة الحكام المحليين على مواجهة ورد هذه الاعتداءات، بل والتعاون مع العدو ضد مصلحة أبناء البلد مثلما وقع مع الزيانيين تأثير كبير في نشأة علاقة كبيرة بين الطرق الصوفية (الزوايا) والعثمانيين .

وجدير بالذكر – حسب تنويه الأستاذ سعد الله- أن الحركة الصوفية في الجزائر كانت موجودة وشائعة حتى قبل الوجود العثماني في الجزائر، غير أن فترتهم وحكمهم هو الذي شاع فيه التصوف بشكل ملفت للانتباه . و بهذا يمكن القول بأن الزاوية لعبت دورا جهاديا ، ففي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء ، فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية و ينصرون المجاهدين و يطعمونهم في زواياهم و يتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين و حماية البلاد ، و قد لعبت الرباطات[2] دورا كبيرا في فتح وهران الأول سنة (1119هـ) و الثاني سنة (1205هـ) .

و لكن الدوافع الجهادية بدأت تضعف بالتدريج بعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم ، فعاد المرابطون إلى قواعدهم ، و لكن بعض الزوايا قد أصبحت مراكز لتدريب الأتباع على الثورة ضد السلطة و لا سيما في أواخر هذا العهد ، فقد ثار يحي الأوراسي و الربوشي ، و ثار الدرقاويان ابن الشريف و ابن الأحرش ، و تململت الزاوية القادرية و الرحمانية ، كما تمردت الزاوية التجانية في عين ماضي و نواحيها [3].

3 - بعض التأثيرات السلبية للزوايا :

أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ و انتشار الزوايا و الأضرحة إلى نتيجتين خطيرتين أولاهما تبسيط المعرفة و ثانيتهما غلق باب الاجتهاد .

[1]. لخضر عبدلي : الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005 ، ص 86/85.

[1]. خالد بلعربي، الوضع السياسي في الجزائر أواخر سقوط الدولة الزيانية.- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والعشرون؛ مارس 2014. ص 100 – 105.

ذلك أن نقل التعليم إلى الزوايا قد أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه بطريقة جافة ريفية ضيقة ، و أصبحت الزاوية بذلك تنافس المدرسة و الجامع في نشر التعليم و في كسب الأنصار ، و بدل أن يلتف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس و المساجد أصبحوا يلتقون في زاوية حول شيخ أو مقدم تغلب على عقله الخرافة و على أحواله الزهد ، و هكذا تدهور مستوى التعليم [1].

2- الكتب والمكتبات :

من المعروف ان المكتبات من أهم وسائل التعلم فهي مصدر من مصادر المعرفة تحفظ فيها العلوم و الثمار خبرات السابقين فتجعل حياة من يعتمد عليها امتداد لحياة السابقين ، وبقدر ما يعتمد على

[2]. عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، مرجع سابق، ص 307 .

ذلك تتفاضل الامم ويقاس تقدمها من هنا كان اهتمام المسلمين بالمكتبات ودور العلم كي تسهم في تطور الحركة العلمية [12] .

إن الباحث في مجال الحياة العلمية في عصر من العصور يجد المؤشر على تطويرها يربط بكتب وتراث العلماء ومدى شيوع ثقافة الكتاب والمكتبات ولذلك كان إقبال السكان حواضر الغرب الإفريقي على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكتب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد ان المكتبات الضخمة الخاصة والعامة توجد في المساجد والقصور وبيوت الأعيان والعلماء ، فكان التأثر واضحا من قبل القبائل العربية والبربرية التي استقرت في تلك البلاد.

لقد انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء والأثرياء وكانت تصرفات طلبة العلم كوجه من أوجه عمل الخير، والبعض عدها صدقة جارية.

واشتهر على العلماء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم عن الراغبين في الاستعارة منها وكانت تدور حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها [13] .

فقد دخلت حواضر الجزائر ، كتبا في مخلف العلوم الخاصة بالثقافة العربية الاسلامية ففي عهد

الأتراك كان السلاطين يتسابقون لاقتناء الكتب الدينية وخاصة للمذهب المالكي من اجل تعزيز الحياة الثقافية بالجزائر [14] .

---

[12]. حسن جبر: المرجع السابق،ص 289.

[13]. أحمد شلبي : المرجع السابق، ص235.

ومما ساعد على كثرة الكتب رغم عدم ابتكار المطابع ما كان يتسم به المرابطون على الثغور من نسخ الكتب بالمجان مما أدى إلى وجود المخطوطات وسهل على المتعلمين وجود الكتب [15] ، بالإضافة إلى تعلم أهل المنطقة فنون الخط وصناعة الورق وان كان على الطريقة التقليدية وكانت المخطوطات والكتب تباع بأسعار أعلى من أسعار السلع التجارية الأخرى [16].

وفي عهد الدولة الزيانية ازداد الاهتمام اكثر بالكتب والمكتبات وهذا راجع الى رسوخ الاسلام اكثر خاصة لدى الطبقة الحاكمة ، وأعطى الحكام الأتراك أهمية كبيرة للكتب ، فكان من مواطنيهم ناسخ لنقل المخطوطات وشراء الكتب بأغلى الأثمان ، فقد بلغ حبهم للكتب ان يشترى الحاكم قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا [17]. وجاء في الروايات من اشترى نسخة من القاموس بثمانون مثقالا [18] .

إن هذه المعلومات التاريخية لتدل على مدى ازدهار الحياة العلمية ، وإقبال الناس على شراء الكتب ونسخها وهو ما أدى إلى ثراء المكتبات الخاصة بأمهات الكتاب حتى تكونت الأسر والعائلات الكبيرة [19] ، التي ارتبط اسمها بالمكتبات العامرة الموجودة بمساكنهم الخاصة ، حتى أصبح هذا التقليد شائعا وازداد تجذرا مع ظهور الزوايا والطرق الصوفية حيث مثل شيوخها وزعمائها مصدر الفتوى وخزانة العلم والكتب .

إن تجارة الكتب كانت اكبر تجارة في الجزائر وقد ازدهرت الثقافة الاسلامية وكانت جامعة تلمسان تخرج علماء في آداب اللغة العربية والعلوم ، وتشير الروايات التاريخية الى ان الكتب التي كانت مصدر رزق وسلعة تجني منها الأرباح إذ يقول حسن الوزان " يجني الخطاطون ربح يفوق كل بقية السلع [20] .

---

[14]. تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي : 845هـ/1441م السلوك لمعرفة دول الملوك-ج2 تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1997م،ص 11.

[15]. محمد محمد زيتون: المرجع السابق 121.

[16].جوز يفين كام : المستكشفون في افريقيا ، ت السيد يوسف نصر ،ط1، دار المعارف ، القاهرة ،1983،ص ....

[17]. نعيم قداح: المرجع السابق، ص 163.

[18]. محمود كعت : المصدر السابق، ص 108-109 .

[19]. احمد طاهر ، فصول من الماضي6 والحاضر ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة 1975،ص74.

[20]. عبد الرحمان السعدي :المصدر السابق ، ص 28 .

إن هذه الروايات تدل على كثرة العلماء والمتثقفين وعادة ما يرتبط هذا بتوفر الكتب والمكتبات [21] ، و التي تحوي ذخائر عديدة من الكتب ويجعلنا ندرك ان الكتب متوفرة والمكتبات عامرة خاصة لدى العلماء قدوة الأمة ، فكانت عملية التبادل والإعارة سائدة ومشهورة في حواضر الجزائر إذ يروي السعدي ان الطالب يقصد العالم يطلب كتبا فيعطيها له من غير معرفة [22]، وهذا ما يؤكد تشجيع العلماء لطلبة العلم أو ربما العرف السائد آنذاك الذي يذم البخيل في تقديم المساعدة لطالب العلم احتوت المكتبات على المخطوطات كما أشار الى ذلك حسن الوزان [23]، فكان سكان الحواضر ينسخون الكتب الأصلية التي لا يملكونها وبأعداد كبيرة إذ تعذر شراؤها[24] .

أما عن محتويات الكتب فهي إسلامية في عمومها تتناول السيرة النبوية والأحاديث مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السيوطي وكتب الفقه على المذهب المالكي خاصة ، مثل رسالة ابن أبي زياد القيرواني بالإضافة إلى كتب الأدب والشعر والكتب الجغرافية والتاريخية والكتب العلمية البحث في الفلك والطب[25] .

وقد ذكر بول مارتي المتخصص في دراسة الاسلام في افريقيا الغربية سلسلة من الكتب العربية التي وجدها في مطلع القرن العشرين في المكتبات الاسلامية نذكر منها على سبيل المثال كتاب الجواهر الحسان لأحمد بابا التنبكتي ، وشجرة اليقين للشيخ أبي الحسن الأشعري وشرح بانت سعاد لكعب بن زهير ، وكتب العالم السيوطي وكتب مولد النبي لسعيد بن جبير وكتاب مقامات الحريري وكتاب المصباح المنير ومقصورة ابن دريد وألفية ابن مالك وقطر الندى ، وإحياء علوم الدين للغزالي وموطئ مالك[26]

---

[21]. حسن الوزان: المصدر السابق ،ج2، ص 54.

[22]. عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ،ص 51.

[23]. حسن الوزان : نفس المصدر، ص 541.

[24]. فليكس ديبوا : المرجع السابق،ص 230.

[25].فليكس ديبوا : المرجع السابق،ص230.

[26].نعيم قداح : المرجع السابق ، ص165.

ان الباحث في تاريخ الكتب والمكتبات يجد السبب في اهتمام سكان الجزائر بها ، وهو حث الاسلام على طلب العلم ، الذي اكتسب قداسة وارتبط بحسن إسلام المرء ولذلك لا عجب في ان نجد هذه المكتبات موصولة بالمساجد والزوايا والقصور.

3- الارتحال لطلب العلم :

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها فكان الطالب يترك بلدته بعد ان يحصل على ما لدى علمائها ، فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ، ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، ولكن هذه المشاق وتلك المخاطر لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت بطون الكتب ، وكم من عالم ارتحل ، وربما قطع آلاف الأميال ، وكان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيسير معهم ، او يعرج على العلماء للتزود منهم وقد بدأ الكثير منهم تلك الرحلات ولم يبلغوا العشرين [27] .

اتسع نطاق انتشار الاسلام في حواضر الجزائر ، مع انتشار العلم والفقه وأسبح الأنتقال إلى مدارس من مدارس القيروان وفاس وتلمسان وغيرها أمرا شائعا ، فكان هذا مما دفع طلبة العلم وعلماء الجزائر للحصول على العلوم من مواطنها وكان طلبة العلم أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء ، فكان الحرص على لقاء الشيوخ والعلماء والأساتذة المشهورين هوالغرض الأول من الرحلة ، فلم يكن طالب العلم يكتفي بقراءة مصنفات الاساتذة وحدهم ، وانما كان لابد ان يقرأها عليه ويسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه ، وبذلك كانت الرحلة ضربا من ضروب التحقيق العلمي [28] .

كان بعض الطلاب والعلماء من اهل الجزائر يقومون برحلات الى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية مثل فاس والقيروان والقاهرة كما اشرنا الى ذلك سابقا وقد زاد الحكام قيمة إلى مفهوم

---

[27]. الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم.تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارا لمريخ .الرياض 1401 – 1981 ، ص 65 .

[28]. حسن جبر : المرجع السابق ، ص288

الرحلة العلمية [29] ، وتكلمت الكتب عن تخصيص أجنحة لطلبة العلم في الأزهر بالقاهرة لاستقبالهم ، فكان في الأزهر تسعة عشر رواقا منها رواق يخص الجزائريين [30] ، ومنهم من يسميه رواق المغاربة [31] .

وكانت رحلات الحجيج لأهالي حواضر الجزائر فرصة طلبة العلم والعلماء لزيادة التحصيل حيث ذكرت المصادر التاريخية بالأسم عددا من العلماء الذين ادوا فريضة الحج والتقوا علماء المشرق هناك منهم السيوطي وغيرهم [32] .

هكذا نجد ان الارتحال لطلب العلم كان سمة بارزة في الحياة العلمية في حواضر الجزائر ، فكان طالب العلم والعالم لا يثنيه طول المسافة ، ولا مشقة السفر فالرحلة مدرسة قائمة بذاتها ، تعلم الطالب صفات الصبر ، وفن التعامل مع الآخرين ، والقدرة على مواجهة المصائب وحلها ، وكسب العلم كانت الغاية الكبرى.

وبفضل هذه الرحلات استمرت الوحدة الثقافية والتواصل العلمي والحضاري بين الجزائر وباقي الأقطار الإسلامية ، وبفضلها أيضا كان استمرار تبادل الأفكار بين سكان الحواضر نفسها ، فقد كانت المسافات بينهما بعيدة .

والرحلة من الناحية العلمية ساهمت في تمكين الدين الاسلامي ، والاستخدام الواسع للغة العربية ، ولقد كان الطلبة يتلقون العلم وهم سائرون في ركاب الرحلة مع الشيوخ كما ان هؤلاء الشيوخ ، من كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من اهل الحواضر التي يمرون بها وما الأذكار التي كانت تردد خلال الرحلة الا بيانا على ذلك حقا ان الارتحال يمثل مصدر إعجاب للباحث خاصة إذا درسها بالنسبة للعالم الاسلامي عامة ، مثل رواة الحديث الذين كانوا يقطعون الأميال للتأكد من صحة حديث واحد ، لذلك ندرك ان العلم مسافة طويلة كلما ازداد الباحث المسير كلما ازداد علما وشغفا في نفس الوقت .

---

[29] . عبد الرحمان السعدي: المصدر السابق ص 51-62.

[30] . مجاهد توفيق الجندي : أروقة الأزهر ،ص04 ،*www.drmarzouk.com* ، ص 04.

[31] . عبد الرحمان السعدي: نفس المصدر، ص182.

[32] . أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج ،ج 2، ص 399 ، كفاية المحتاج ،ج 2 ،ص 295 .

4- الإجازات العلمية:

يقصد بالإجازة العلمية إقرار الأساتذة بأهلية الطالب بعد إتمام فترة زمنية يتعلم فيها فنا من الفنون او علما من العلوم ويقع النطق بذلك ، أو يحرر على ورق تدفع للطالب المتخرج ، فيمنح إجازة او تصريحا برواية كتب ، لا تسمى تفصيلا كان يقول له : (إنني أجيز لك ..)[33] .

وكانت هناك شهادات خاصة بحفظ القرآن وأخرى بالحديث ، وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات الى جانب العلوم الدينية .

وكان نظام الشهادات معروفا في حواضر الجزائر خاصة في عهد الدولة الزيانية ، إذ كان الأستاذ كلما لمس عند احد طلبته تمكنا كافيا في مادة من المواد التي درسها عنده ، أعطاه إجازة بخط يده [34] .

وهناك شهادات تعطى فردية ، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ ، في المواد التي يتقنها الأستاذ ، ويتعاطى تدريسها ، ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى ، وبناء على هذا فإن الشهادات كانت على شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة او أكثر ، وهنا يراعي الأستاذ مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها [35] ، وفي يوم التخرج ، يمنح الطلاب العمائم ، والعمامة ترمز إلى النور الإلهي والحكمة والمعرفة والسلوك الأخلاق العالية .وهي تمثل الخط الفاصل بين المعرفة والجهل، مما يعني أن الطالب ملزم بتبادل المعارف والخبرات مع إخوانه [36].

وكان العلماء المغاربة يلزمون الطلبة بالحصول على الشهادة ، بحيث يتأجل تخرج الطالب إذا لم يتحقق له النجاح ويعود من جديد للتعلم [37] ، والطالب الناجح هو ذلك المواظب على واجباته الدينية

---

[33] . فؤاد سيزكين: المرجع السابق، ص 14.

[34] .عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين،المرجع السابق ، ص147.

[35] . عبد الحميد جنيدي : المرجع السابق ، ص 84 .

36 .Jackson, Mississippi. Sankore University: Rediscover the Glory. ***www.muslimmuseum.org/SankoreUniversity.***

[37] . محمد عبلة سلطان:المرجع السابق ، ص 175.

واوقات الدراسة ، والمجتهد في حفظ ما طلب منه وعادة ما يكلف الأستاذ طلبته المتفوقين بالإنابة عليه، أو إلقاء الدروس ثم يصدر شهادته عليه [38] ،وكان تلك الشهادات تعطى عادة في حفل ، يقيمه اهل الطالب الناجح ، وهذه الشهادة العلمية التي تحصل عليها الطالب تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب ، أو الإمامة ، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي ، أو نائبا له أو كاتبا في مصلحة حكومية ، أو نسخ الكتب ، أو تعليم القراءة ، وقد تنتهي بالعمل في القضاء وتولي مهامه [39].

الخاتمة :

عرف التاريخ الثقافي لحواضر الجزائر نشاطا كبيرا للمساجد التي بنيت في مناطق مختلفة ، كان لها دور عظيم في نشر الوعي العلمي والثقافي ، وعلة ترسيخ مقومات الشخصية الاسلامية ، والحفاظ عليها والمسجد مدرسة دينية ، ودار للتهذيب والضيافة ، ومركز يجمع بين العلماء والطلبة وهو مركز إشعاع علمي وحضاري يقوم على تدريس مختلف العلوم الدينية والعقلية ، في مختلف المراحل التعليمية

ولقد استمر بناء المساجد والاهتمام بها مع مختلف السلاطين والحكام ، وفي معظم أقاليم السودان الغربي ، وهي بذلك تمثل جزء مهم من الحياة العلمية والثقافية منذ دخول الاسلام أليها وخاصة في الفترة محل الدراسة .

ولعل الكتب والمكتبات تمثل عاملا ومظهرا أساسيا لتقييم مدى انتشار التعليم ومنتوجه ، فالبرغم من صعوبة توفر الورق أو قلة الناسخين ، فإن عدد المجلدات التي نسخت أو ألفت لتدل على صدى النشاط الذي عرفته كتابة ونسخ المؤلفات حتى عد بعضها بالآلاف كما أشرنا في هذا الفصل وكان الارتحال لطلب العلم سمة العالم الاسلامي ، كله ، ولم يكن السودان الغرب ليشذ عن هذا بالرغم من السفر ، وبعد المسافة التي تصل الى آلاف الأميال

[38]. عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق،ص 46.

[39]. عبد الحميد جنيدي : نفس المرجع والصفحة.

وهو ما يفسر قلة الطلبة الذين توجهوا الى حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين ولم يولى طلبة العلم للشهادات المتحصل عليها اهتماما ، فكان الطلبة يتنافسون في حفظ القرآن والحديث ،وكانت الأسر تكرمهم بإقامة الحفلات ، وترعاهم في مرحلة الطفولة .

و إذا كان الحكم على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم فان حواضر الجزائر قد عرفت عناية العلماء بالعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ولكن عنايتهم بالعلوم العقلية كالطب والفلك والحساب والهندسة وغيرها كان قليلا ذلك أن ما كان متداولا من هذه العلوم والفنون لم يكن يخرج عن تقليد السابقين ولم يكن ممارسوه بالاستقلال العقلي وروح الابتكار والتجديد الذي يمكن ان نقارنه مع ما كان سائدا في بغداد أو قرطبة أو فاس لكن إذا ما قورن مع ماضي الجزائر قبل الإسلام فإننا نقول دون تفكير أن حواضر الجزائر عرفت ازدهارا علميا كبيرا وخاصة في الفترة التاريخ الحديث والمعاصر .

ورغم اتساع التعليم وكثرة المدارس والكتاتيب ،وارتفاع عدد الطلبة وكثرة حفظة القرآن وتمسك السودانيين بتعاليم الدين الإسلامي ،فان هذه الحواضر كانت تفتقر إلى معهد رئيسي كبير يلم شتات المثقفين في القرى والأرياف ،فكان القليل الذي يستطيع السفر إلى فاس أو القيروان وغيرها طلبا للعلم والتبحر فيه .

وعليه ظلت المدارس الموجودة في حواضر الممالك الإسلامية بالجزائر تحتفظ بخصائصها المستقلة عن المدارس المجاورة ولا تربطها علاقات تنظيم أو تسييروعليه بالقدر الذي كثرت فيه المدارس بالقدر الذي لم تبرز فيه جامعات كبرى ، ولم يكتب لواحدة أن تتفوق على الأخرى ، إذا استثنينا من هذا حاضرة تنبكت التي كانت بحق تشبه إلى حد بعيد الجامعة الكبرى في الجزائر .

هذا ما جعل الحكم على الحياة العلمية في الجزائر بمنظور أندلسي أو عربي أوروبي ، وما شهدته هذه المناطق من تطورات يجعلنا لا نزن الأحداث والتطورات بميزان العدل فعلينا قبل الحكم أن ندرس كيف كانت إفريقيا وكيف تطورت وما هي المدة الزمنية المستغرقة لبناء الحياة العلمية وتقاليدها وهل

ساعدت الظروف التاريخية والتطورات السياسية مملكة مالي وسنغاي على التطور الحضاري الكافي لنقارنه بحضارة الأندلس مثلا أم أن الكثير منها –التطورات التاريخية والسياسية – كانت تعيق التواصل الحضاري ، وما هي الظروف الطبيعية المحيطة ،وهل كان النظام القبلي دافع للفكر أم تراجع بسبب تمسكه بالقيم التي ظل الجزائري يقدسها ، حتى روى لنا الرحالة كابن بطوطة ،وحسن الوزان بعضا منها ،غاية في الغرابة وبعدا عن الحياة الإسلامية .

إن هذه الأسئلة تحمل الإجابة عليها في نظر الباحث دعوة له إلى المزيد من الدراسة والتعمق ، وما استخلصه أن الحياة العلمية في حواضر الجزائر وما شهدته يعد قفزة ايجابية ، وطورا كبيرا خاصة في الفترة محل الدراسة .

قد يكون دخول الإسلام إلى الجزائر أهم حدث عرفته البلاد بحيث أعطى للسكان منهجا جديدا في الحياة يختلف كل الاختلاف عن الحياة الوثنية التي كانو يعيشونها .

لكن الباحث في مجال الحياة العلمية سرعان ما يدرك أنها كانت أهم مظهر للتطور الذي أحدثه وصول الإسلام واخرج حواضرها وقراها من الجهل والخرافات والعبودية للطبيعة القائمة على مصادر الخوف والتبعية .

إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر الجزائر قد تعددت و تطورت مع القرن السابع حتى غدت مع بداية القرن الرابع عشر ميلادي نموذجا خاصا في هذه الأقاليم .

إذ يرجع الفضل إلى الحركة والنهضة العلمية التي شهدتها تلك الحواضر في إخراج القارة بأكملها من عزلتها الحضارية التي عاشتها طيلة القرون التي سبقه الإسلام حتى عرفت بالظلام .

وقد فتحت هذه الحركة العلمية أبواب الاحتكاك والتفتح على العالم الخارجي خاصة المغرب والمشرق الإسلاميين فتدفقت العلوم على حواضر الجزائر وتحرك الطلبة والعلماء بحثا عن التفقه في

علوم الدين ومعرفة العلوم العقلية التي توصل إليها المسلمون ويمكن أن نلخص أفكار هذا الفصل في النقاط التالية :

أولا :ان انتشار اللغة العربية كان في اغلب الأحيان مساير لانتشار الإسلام ،وباعتبارها لغة الدين الذي اعتنقه غالبية السكان واليها يرجع الفضل في دفع الحركة العلمية إلى المزيد من الانجازات وساهمت بدور فعال في تلاحم الحضارتين العربية والإفريقية واحتلت العربية مكانة مرموقة بين الأفارقة وتنافسوا لاكتساب مختلف المعارف فكانت هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي لتقدم حواضر الجزائر في مختلف المجالات .

ثانيا : يعتبر التعليم بمختلف مراحله في المساجد أو الكتاتيب في الحواضر أو في الأرياف من أهم عوامل تجذر الحضارة الإسلامية من جهة ومعلما من معالم الحضارة الجزائرية من جهة ثانية وان كان لا تختلف عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى ، فتكونت تقاليد راسخة حول المعلم والطالب ووقت الدراسة والإجازات العلمية وساد التنافس بين العائلات للاهتمام بأبنائهم وخاصة في مجال تحفيظ القرآن .

ثالثا : لقد تنوعت مناهج الدراسة ومقررات العلوم الشرعية والعقلية فقد عرف طلبة الحواضر الإفريقية كل العلوم التي عرفتها المراكز الإسلامية الأخرى ،ونبغ علماء فاقت شهرتهم حدود الجزائر إلى فاس والقيروان والقاهرة والحجاز ، وأود أن أشير هنا إلى تأخر في مجال العلوم العقلية إذ لم تذكر الكتب الجديد الذي جاء به الجزائريون ، فكان اهتمامهم بمعرفة مبادئ أولية في علم الحساب لاحتياجاتهم له في مجال التجارة وعد النقود وتقسيم المواريث .

وعرفوا القليل من علم الفلك لمعرفة الاتجاهات والمسالك والطرق وقليل من الطب والصيدلة لمواجهة الأمراض المعروفة في تلك المناطق، وشيء من علم الكلام وعلوم أخرى لم تلقى الازدهار الذي عرفته اللغة العربية والعلوم الدينية .

رابعا : إن اقل ما يقال عن مستوى التعليم أنه ساهم في محو الأمية التي عرفتها القبائل ببداوتها ، ولم أجد في الكتب التي تناولها في دراستي هذه ما يشير إلى نسبة الأمية ، لكن استطيع التأكيد أنها كانت ضئيلة، بحكم أن السكان كانوا مسلمين ، وان المسلم عليه أن يؤدي الصلاة، ولا يستطيع فعل ذلك إلا إذا حفظ شيئا من القرآن ، ولا يحفظها إلا إذا تعلم على يد مدرس .

إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر الجزائر بكل عناصرها تبعث على الإعجاب لما وصلت إليه من تطور ،ساهم الدين الإسلامي واللغة العربية والطلبة والعلماء والحكام والعائلات في تنشيطه وجعله عنصر من عناصر حضارة الحواضر في الجزائر .

التاريخ الثقافي للجزائر خلال الحقبة الاستعمارية

لقد أحدث المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر جروحًا عميقة في بناء المجتمع الجزائري، حيث عملت فرنسا على إيقاف النمو الحضاري والمجتمعي للجزائر مائة و اثنتين وثلاثين سنة، وحاولت طمس هوية الجزائريين الوطنية، وتصفية الأسس المادية والمعنوية التي يقوم عليها هذا المجتمع، بضرب وحدته القبلية والأسرية، و إتباع سياسة تبشيرية تهدف إلى القضاء على دينه ومعتقده الإسلامي، وإحياء كنيسة إفريقيا الرومانية التي أخذت بمقولة "إن العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين."

وكان التوجه الفرنسي يعتمد على معاداة العروبة والإسلام، فعملت على محو اللغة العربية، وطمس الثقافة العربية والإسلامية، وبدأ ذلك بإغلاق المدارس والمعاهد، ثم تدرج مع بداية القرن العشرين إلى منع تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية، وعدم السماح لأي شخص أن يمارس تعليمها إلا بعد

الحصول على ترخيص خاص وفي حالات استثنائية، ومن ناحية أخرى عملت على نشر الثقافة واللغة الفرنسية، واشترطوا في كل ترقية اجتماعية ضرورة تعلم اللغة الفرنسية، كذلك عملوا على الفصل بين اللغة العربية والإسلام، والترويج لفكرة أن الجزائريين مسلمون فرنسيون. واهتم الفرنسيون بالترويج للهجات المحلية واللسان العامي على حساب اللغة العربية، فشجعوا اللغة "الأمازيغية"، و اتبعوا كل سبيل لمحاربة اللسان العربي، واعتبروا اللغة العربية الفصحى في الجزائر لغة ميتة.

وقد سعى الفرنسيون إلى ضرب الوحدة الوطنية الجزائرية بين العرب والبربر، فأوجدوا تفسيرات مغرضة وأحكاما متحيزة لأحداث التاريخ الجزائري، ومنها أن البربر كان من الممكن أن يكون لهم مصير أوروبي لولا الإسلام، واعتبروا العنصر البربري من أصل أوروبي، وحكموا عليه بأنه معاد بطبعه للعرب، وسعوا لإثبات ذلك من خلال أبحاث ودراسات تدعي العلمية، وخلصوا من هذه الأبحاث الاستعمارية في حقيقتها إلى ضرورة المحافظة على خصوصية ولغة منطقة القبائل البربرية بعيدًا عن التطور العام في الجزائر.

وتعرضت المؤسسات الثقافية و الدينية إلى الهدم و التخريب و التدمير ، ذلك في إطار سياسة استعمارية تدخل بدورها ضمن الحرب الشاملة . وقد ركزت السياسة الاستعمارية معاول هدمها على المؤسسات الدينية ، وعلى رأسها المساجد و الجوامع و المدارس و الزوايا ، لما لهذه المؤسسات ، من دور في الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري و انتماءه الحضاري العربي الإسلامي .و كان من نتائج سياسة الهدم هذه ، تدهور الثقافة و المستوى التعليمي في المجتمع الجزائري ، مما مكن الإدارة الاستعمارية و المستوطنين .

تركزت السياسة الأستعمارية على محاربة :

أ- اللغة العربية:

كرس المستعمر طيلة وجوده بالجزائر التخطيط للقضاء على اللغة العربية ومنع انتشارها والتضييق على

النشطاء في مجال نشر العلم والثقافة العربية وجعل هذه اللغة لغة أجنبية في عقر دارها، ولأجل ذلك مورست أبشع الطرائق واستعملت أخبث الوسائل في أساليب تعليمها بمؤسسات التثقيف المختلفة، وقد تمثلت محاربة الاحتلال للغة العربية من خلال ما يلي:

ب- أ- فرنسة التعليم في المرحلة الابتدائية، وجعل اللغة العربية لغة أجنبية واختيارية في بقية المراحل الأخرى.

ب- تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات يمكن إهمالها جميعا في التعليم:

***عربية عامية يستعملها الشعب ولا قيمة لها، وبالتالي ليست مادة صالحة للتعليم في المدارس.**

***عربية فصحى "لغة القرآن الكريم" وهذه مثلها مثل اللغتين اليونانية واللاتينية تعتبران لغة ميتة.**

***عربية حديثة وهي معروفة بصورة باهتة في الجزائر لأنها نتاج بعض المتعلمين وهي في الحقيقة لغة أجنبية وأداة للقومية العربية، ولذلك يجب إبعادها من برامج التعليم.**

ج- اعتبارها لغة أجنبية كما ينص قرار "شودان" (وهو قرار وزاري أصدره الوزير شودان Chaudan سنة 1938 يقر فيه بجعل اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ويمنع تدريسها في معاهد التعليم إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية.(

د- فرنسة الإدارة ووسائل الإعلام والثقافة بغرض صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة وكبيرة.

هـ- محاربة معاهد التعليم العربي "الحر" التي تقوم بنشر اللغة العربية ومحاولة تصفيتها.

و- اضطهاد المعلمين الأحرار في سلك التعليم العربي الحر وسجنهم وتغريمهم بقصد صرفهم عن العمل في نشر التعليم العربي بين الجزائريين.

ي- التقتير في منح رخص التعليم للمعلمين الأحرار والمنظمات الجزائرية القائمة بنشر التعليم العربي الحر.

ن- تعطيل النوادي العربية الحرة التي تقوم بنشر اللغة العربية بين الشباب الجزائري، وتربيته تربية عربية إسلامية.

ي -مصادرة أملاك قطاع التعليم العربي: بحيث لم تكتف الإدارة الاستعمارية بغلق مؤسسات التعليم العربي، وطرد علمائها ومشايخها وتضييق الخناق عليهم، وفرض سيطرتها على كامل المؤسسات بل سارعت إلى الاستيلاء على أوقاف المؤسسات ومصادرة أملاك وعقارات كانت تابعة لهيئة الأوقاف، وهي الهيئة التي تشرف على تمويل التعليم العربي.

-ب - محاربة الدين الإسلامي:

كانت الحملة الشرسة ضد الدين الإسلامي وفق حملة صليبية معلنة لتشويه العقيدة الإسلامية، والحط من شأن الإسلام ومطاردة رجاله والزج بهم في السجون أو نفيهم إلى الصحاري أو مناطق نائية ولذلك انتهجت الإدارة الاستعمارية سياسة خلاصتها مقولة الكاردينال "لافيجيري": "علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرأنه، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر".

والشواهد التاريخية تؤكد ما كان يدعو إليه سكرتير "بيجو" سنة 1832 عندما بدا مقتنعا بأن: "آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"

ومن هنا يمكن القول أنه إذا كان الدين الإسلامي هو الحائل دون نجاح سياسة التفرقة والإدماج والفرنسة فإن الاستعمار لم يفتأ منذ الوهلة الأولى للاحتلال يخطط للقضاء على هذا الدين، فانتهج لذلك سياسة التنصير والمتمثلة في إخراج المجتمع الجزائري من دينه بإغرائه أو إرغامه على اعتناق الديانة المسيحية التي تخول له الحصول على الحقوق مثل أفراد المجتمع الفرنسي ويتحقق بذلك الإدماج الذي حال تمسك الجزائريين بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي دونه.

وفي موضوع علاقة التنصير بالفرنسة يقول الباحثون: " لقد أظهر كتاب فرنسا وخطباؤها نزعتين أساسيتين عند تقرير السياسة التي يجب إتباعها في الجزائر عند بداية الاحتلال وهما التنصير والفرنسة،

وبتعبير أوضح: العمل على إقامة الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية، وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وكانت هاتان النزعتان تتآزران في أذهان الكثيرين من الفرنسيين لأنهم كانوا يرون أن التنصير يساعد على الفرنسة كما أن الفرنسة تسهل التنصير".

وإذا كانت سياسة التنصير وسيلة للفرنسة وهدفا من أهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية للجزائر فلم يكن تطبيقها بالشيء الهين في مجتمع كالمجتمع الجزائري خال من الطوائف الدينية متمسكا بالإسلام، ولذلك عمدت إدارة الاحتلال إلى طرائق في منتهى الخطورة والالتواء والخبث محاولة من خلالها بلوغ ذلك الهدف، ومن أهم هذه الطرائق نذكر:

أ- تكثيف نشاط الإرساليات الدينية المسيحية التي أخذت تتوافد على القطر الجزائري تحت مختلف الأشكال والأسماء من هيئات تعليمية، وجمعيات خيرية، وأظهرت نشاطا خاصا في ميادين الخدمات الاجتماعية، وتغلغلت في المناطق الأكثر فقرا لإغراء الأهالي بالمساعدات المادية واستدراجهم إلى الدين الجديد، وإمعانا في التمويه وتسهيل احتكاك هؤلاء القساوسة بمختلف الفئات الاجتماعية أطلقوا على أنفسهم اسم: (الآباء البيض) فكانوا يرتدون ثيابا بيضاء وبرانيس مثل الأهالي تماما في الجزائر.

ب- التركيز على تنصير الأولاد الصغار وخاصة اليتامى والمشردين و أبناء الفقراء...؛ حيث كانوا يغرونهم بكل الوسائل لاستجلابهم وتنشئتهم على الديانة المسيحية، وقد نشط الآباء البيض في اصطياد هؤلاء الأطفال وجمعهم في ملاجئ أنشئت لهذا الغرض، نذكر منها ملجأ (ابن عكنون) و(القديس ميشال) و(بيت بوفاريك)، وفي سنة 1867 شرع الكاردينال "لافيجري" الذي أسس (بيت بوفاريك) في تنفيذ خطة كبيرة لتنصير الأطفال الجزائريين فكتب في مقدمة برنامجه: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة عظيمة مسيحية أعني بذلك فرنسا أخرى يسودها الإنجيل دينا وعقيدة، فهذه هي آيات الله."

ومن أخطر ما فعله هذا الكردينال أنه كان ينصر الأطفال ثم يجعل منهم (أباء بيضا) ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين أهلهم، وكان ذلك تنفيذا لتوجيه "لوفيبو" سكرتير المارشال بيجو الذي قال في تصريح له في سنة 1838: "إن العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين."

ومن طرائق ذلك كذلك:

أ -تحويل عددا كبيرا من المساجد الإسلامية الهامة في مختلف المدن الجزائرية إلى كنائس للمسيحيين أو بيع لليهود وذلك نكاية في الدين الإسلامي ومحاولة القضاء عليه بالقضاء على مقدساته.

ب- أخضعت فرنسا المؤسسات الإسلامية (مساجد، وقضاء شرعي، ومواسم إسلامية، ورجال دين) لإشرافها المباشروعملت على تسخيررجال الدين للعمل كجواسيس للإدارة على مواطنيهم مما يتنافى مع مكانتهم الدينية المبجلة.

د- تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة الذي صدرفي فرنسا سنة 1905 والمطبق في الجزائر بمقتضى مرسوم سنة 1907على الدين اليهودي والدين المسيحي فقط، ورفضت تطبيقه على الدين الإسلامي ومعابده كي يبقى تحت سيطرتها المباشرة، حتى تحول بين الجزائريين وبين النهوض بالمؤسسات الإسلامية على الوجه المطلوب.

ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد بل تعدى إلى تشويه التاريخ الجزائري وتزييف جغرافية الوطن.

ج - تشويه التاريخ الجزائري:

بما أن مادة التاريخ الوطني والجغرافيا تعتبران من المواد العلمية ذات الإستراتيجية الخطيرة في بناء الكيان القومي والوطني للمتعلمين في سائر مراحل التعليم، فقد تركزت عليهما جهود الاحتلال بالمسخ والتشويه تارة، وبحرمان الجزائريين من دراستهما الدراسة العلمية الوافية في معاهد التعليم المختلفة تارة أخرى.

فمن ناحية المسخ والتشويه كان الأطفال الجزائريون في مدارس الاحتلال يدرسون مادة التاريخ "الذي يعتبر بمثابة شعور الأمة وذاكرتها ووعيها بكيانها" كانت الجزائر قديما تسمى "الغال" وكان أجدادنا يسمون "الغليين" تماما مثلما كان يدرس التلميذ الفرنسي في مقاطعة "نورماندي."

والقصد من هذا هو المسخ والتشويه للتاريخ الوطني، بحيث ينشأ أبناء الجزائريون الذين يدرسون في مدارس الاحتلال على هذه الصورة، وهم يعتقدون منذ الصغر بأن أصل أجدادهم ينحدر حقيقة من الغاليين في جنوب فرنسا، وليس من العرب في شبه الجزيرة العربية، وبذلك يصبحون أسهل انقيادا،

وأسرع استجابة لقبول نتائج سياسة الفرنسة، والتنصير، والإدماج في فرنسا، وهي السياسة التي تهدف إلى محو شخصية وطنهم القومية محوا كاملا.

ولم تقتصر جهود الاحتلال في حرمان الجزائريين من دراسة تاريخهم بالقدر الكافي على المدارس الفرنسية اللغة والخاضعة لإشرافه فقط، ولكنه عمل إلى جانب ذلك على منع تدريسه لهم في المدارس والكتاتيب القرآنية "الحرة" التي أقامها الشعب الجزائري بتبرعاته.

و كانت جغرافية الجزائر تدرس لأبناء الجزائريين في المدارس الفرنسية باختصار شديد وخلال أسابيع معدودة في المرحلة الإبدائية فقط مثل التاريخ.

وكان المنهاج يحاول أن يغرس في أذهان التلاميذ الجزائريين أن بلادهم جزء لا يتجزأ من لوطن الفرنسي (الأم) وأن الجزائر تمثل ثلاث مقاطعات فرنسية في ما وراء البحر المتوسط. وفي الوقت نفسه يدرس أبناء الجزائر في المدارس الفرنسية الحكومية جغرافية فرنسا بتفصيل و في مختلف مراحل التعليم، وذلك لان الجغرافية مثل التاريخ "مادة ذات طبيعة إستراتيجية" خطيرة من ناحية تكوين الروح الوطنية والقومية لدى المتعلمين، وبناء شخصيتهم القومية بناء سليما. فنحن مثلا لا يمكننا أن ننتظر من الناشئين أن يحبوا وطنهم، ويفدوه بكل نفس ونفيس في الوقت الذي لا يعرفونه معرفة جيدة في مختلف مراحل تاريخه، وفي موقعه الجغرافي ومكانته الاقتصادية والسياسية بين الشعوب الأخرى، كما لا يرون بعيونهم ما يدره عليهم من منافع وخيرات.

نتائج هده السياسة :

1- بروزنخبة من الجزائريين مثقفة ثقافة غربية.
2- بروزصراع فكري ثقافي وديني بين المعربين والمفرنسين.
3- -انتشارالأمراض والآفات الاجتماعية والانحرافات السلوكية.
4- الانبهاربالحضارة الغربية والاغتراب.